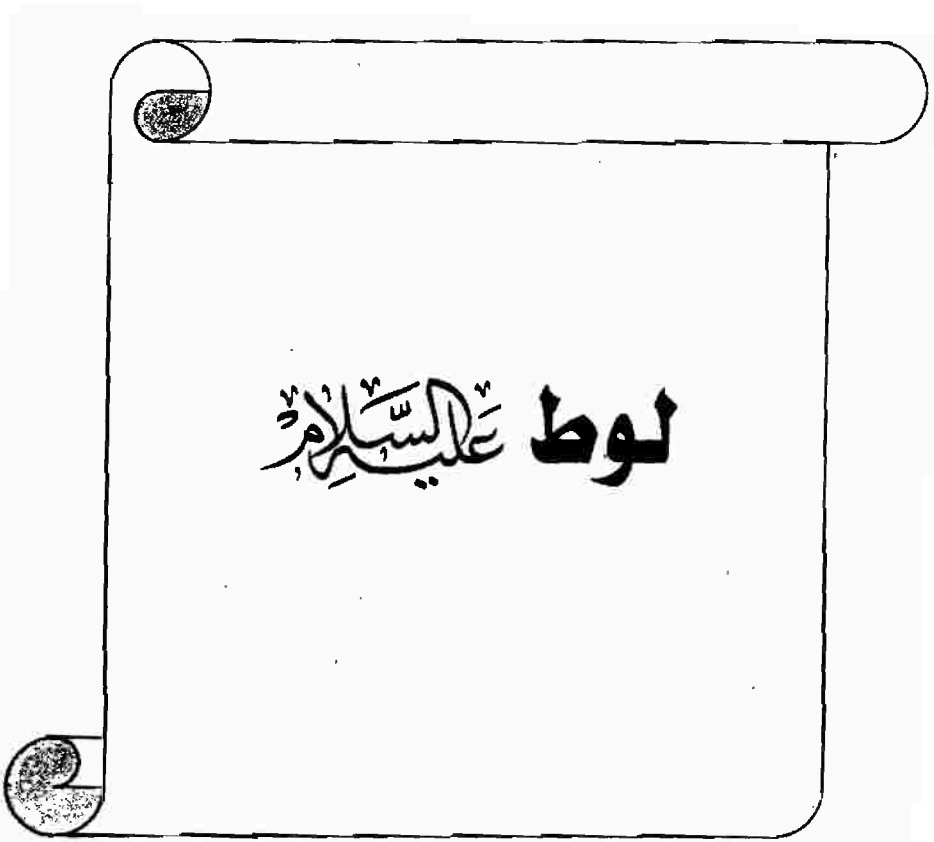
لوط عليه السلام

لـوط عليه السلام

هو عليه السلام لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام.

وهو أول من صدَّق بإبراهيم لما جعلت النار عليه برداً وسلاماً، وهاجر معه إلى بلاد الشام.

قال تعالى: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

ولوط عليه السلام من أنبياء الله الذين أرسلهم إلى أقوامهم ليخرجوهم من ظلمات الفاحشة إلى نور الأخلاق الفاضلة.

فساد قوم لوط:

كان أهل مدينة سدوم بالأردن من أفجر الناس وأكفرهم، وكانوا ذوي أخلاق فاسدة ونوايا سيئة، لا يتعففون عن معصية ولا يتناهون عن منكر فعلوه، وكانوا يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله، وذلك أنهم كانوا يأتون الذُّكران من العالمين شهوة من دون النساء، يستعلنون بذلك ولا يتسترون.

قال الوليد بن عبدالملك: لولا أن الله تعالى قصَّ علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً.

لوط عليه السلام يدعو قومه:

دعا لوط عليه السلام قومه إلى الإيمان، وخوّفهم عذابَ الله وحثَّهم على ترك ما هم عليه من المعاصي والمنكرات، فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٢ ـ ١٦٦].

ولكن قومه لم يستجيبوا لدعاء نبيهم لوط عليه السلام، بل هددوه قائلين: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء: ١٦٧].

ومرَّت السنون ولوط عليه السلام يدعوهم إلى الهداية، وتأبى قلوبهم ذلك.

وكان لوط عليه السلام يقول لهم بأنهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنَّار مثوىً لهم، فما كان يزيدهم ذلك إلا كفوراً وفجوراً وفُحشاً[1].

خيانة امرأة لوط عليه السلام:

كانت امرأة لوط تعرف أن قومها قد غمرهم الكفر والفساد، مع ذلك كانت عوناً وعيناً لهم على زوجها، فكانت تفشي سره وتعاديه في دينه، وكانت تدلُّ قومه على أضيافه بطريقة لئيمة، وذلك كان إذا نزل الضيف عنده بالليل، أوقدت النار إذا لم تستطع إخبارهم، وأما إذا نزل الضيف بالنهار ولم تستطع الخروج لتخبرهم بالضيف دخنت ليعلم

(١) «مروج الذهب»، المسعودي. (بتصرف).

قومه أنّه نزل به ضيف إذا رأوا الدخان، فيأتون إلى بيت لوط عليه السلام ليسخروا ويهزءوا بضيوفه[١].

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

إبراهيم عليه السلام يجادل في قوم لوط:

كان الملائكة الكِرام وهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل، قد جاءوا إبراهيم عليه السلام، وبشّروه بإسحاق، ثم أخبروه أنّهم جاءوا ليهلكوا أهل قرية سدوم الذين ظلموا أنفسهم، فقالوا له: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١].

ولكن إبراهيم عليه السلام أخذ يجادل في قوم لوط، فقد كان يرجو أن ينيبوا إلى ربهم ويسلموا له.

قالت الملائكة لإبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [العنكبوت: ٣١].

قال إبراهيم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين؟

قالوا: وإن كان فيهم خمسون لن نعذبهم.

فقال إبراهيم: وإن كان فيهم أربعون؟

قالوا: وأربعون.

قال إبراهيم: وإذا كان فيهم ثلاثون؟!

---

(١) «التفسير الكبير»، الرازي، و«تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).

قالوا: وإن كان فيهم ثلاثون فلن نعذبهم.

فقال إبراهيم عليه السلام: وإذا وجد فيهم عشرون مسلماً؟!

فقالت الملائكة: وعشرون يا إبراهيم، لن نعذبهم.

قال: وعشرةٌ من المسلمين؟

قالوا: وإن كانوا عشرة لن يهلكوا.

هنا قال إبراهيم عليه السلام: ما من قوم لا يكون فيهم عشرة من المسلمين ليس فيهم خير.

وراح رسل الله يؤكدون لخليل الرحمن أن قوم لوط ليس فيهم عشرة من المؤمنين.

جاء الأمر الإلهي يرد على مجادلة إبراهيم عليه السلام قائلاً: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هود: ٧٦].

الملائكة في ضيافة لوط عليه السلام:

تركت الملائكة إبراهيم عليه السلام، وهم قاصدون قوم لوط بأرض سدوم، وأقبلوا في صورة شبّانٍ حسان، ولما بلغوا قرية لوط، خشي لوط عليه السلام إن لم يضيفهم أن يضيفهم غيره، وحسبهم بشراً من الناس، وخاف من عاقبة الأمر، فهو يعرف فسق قومه، أخذ لوط عليه السلام ضيوفه وكان يمشي معهم وهو خائف يترقب فسأله ضيوفه عمّا يريبه.

أجاب: أشهد أن أهل هذه القرية شرّ قرية في الأرض عملاً، أشهد أنهم أهل سوء وفسادٍ وخبث.

وصل لوط عليه السلام وضيوفه إلى بيته، ولم يكن هناك في القرية من يعلم بقدوم هؤلاء غير لوط وامرأته وابنتيه، وكان اسمهما: (ريثا ورغوثا).

رأت امرأة لوط هؤلاء الضيوف، فجُنَّ جُنونها، ماذا تفعل لتخبر قومها؟!

أشعلت امرأة لوط ناراً ليعلم أهل القرية بخبر الضيوف، ثم تسلّلت إلى قومها في ناديهم.

فقالت لهم: إني رأيتُ رجالاً لم أرَ أحسن منهم وجوهاً، وهم عند لوط الآن.

ثم انتقلت إلى آخرين، وقالت لهم: إن لوطاً قد أضاف الليلة فتيةً ما رؤي مثلهم جمالاً، ولا أطيب رائحة، فأسرعوا قبل أن يرتحلوا.

جاء قومه يهرعون إليه يركبهم شيطان الفجور، فعرف لوط عليه السلام ما يريد هؤلاء الفجار.

وقف القوم على باب لوط فقالوا: يا لوط أولم ننهك عن استقبال الضيوف؟! ألا تعلم ما نريد؟!

فقال لهم لوط: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ﴾ [هود: ٧٨].

فأجابوه قائلين: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩﴾ [هود: ٧٩].

هنا أراد قوم لوط أن يقتحموا البيت ويدخلوا لضيوفه، ولوط عليه السلام يمانع قومه الدخول إلى بيته.

وفي تلك اللحظة أفهمت الملائكة لوط عليه السلام أنهم رُسُل الله،

فقالوا له: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

حينئذٍ هدأت نفس لوط عليه السلام واطمأن على ضيوفه[١].

هلاك قوم لوط عليه السلام:

جاءت الأوامر الإلهية من الله عز وجل بأن يسري لوط بأهله في آخر الليل، وذكرته الملائكة بامرأته الكافرة الظالمة بأنّه سيصيبها ما أصاب قومها، فلا تَسْرِ بها. لقد أسرفت وتجاوزت فحقَّ عليها القول.

قال تعالى للوط عليه السلام: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود: ٨١].

سار لوط عليه السلام وابنتاه في السحر، وما أن ابتعد عن القرية قليلاً أرسل الله عز وجل جنوده لينفّذوا المهمة التي أُوكلت إليهم.

هنا نشر جبريل عليه السلام جناحه فانتسف بها أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وشجرها وجميع ما فيها، فضمها في جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل[٢].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

---

(١) «البداية والنهاية»، ابن كثير. (بتصرف).

(٢) «تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).

وجعل الله مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها، ولا بما حولها من الأرض، لرداءتها وهي التي تعرف الآن بالبحر الميت أو بحيرة لوط، وهي أخفض منطقة على سطح الأرض.

وفاة لوط عليه السلام:

مكث لوط عليه السلام في مدينة الخليل عند عمه إبراهيم عليه السلام، وتوفي عليه السلام فيها، ودفن في قرية تسمى (كفر البريك) بجوار مسجد الخليل عليه السلام.

* * *